آراء جماعة الديوان النقدية

آراء جماعة الديوان النقدية

كانت آراء جماعةالديوان نقطة تحول ، ونقلة كبيرة في ساحة النقد الأدبي ، و كان مادعوا إليه في كتاب الديوان أمرًا جديدًا لم يألفه نقاد العصر، و المهتمون بقضايا الأدب .

ومن أبرز القضايا التي أثارها شعراء الديوان :-

(١) مفهوم الشعر :

يقول العقاد :

" فاعلم أيها الشاعر العظيم أن الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها ، و يحصي أشكالها و ألوانها ، وأن ليست مزية الشاعر أن يقول لك عن الشيء ماذا يشبه ؟ وإنما مزيته أن يقول ما هو ؟

و يكشف لك عن لبابه وصلة الحياة به ، وليس هم الناس من القصيدة أن يتسابقوا في أشواط البصر والسمع ، وإنما همهم أن يتعاطفوا و يودع أحسنهم و أطبعهم في نفس غيره زبدة ما رآه و سمعه وخلاصة ما استطابه أو كرهه وما ابتدع التشبيه لرسم الأشكال والألوان فإن الناس جميعًا يرونها كما تراها ، وإنما ابتدع لنقل الشعور بهذه الأشكال والألوان من نفس إلى نفس " [١].

١- الديوان ص ٢١،٢٠.

معنى ذلك أن الشعر في مفهومهم هو الذي يمس جوهر الشاعر لا تعداد الأشياء أو مسها من الخارج ، لأن وظيفة الشعر ليست مقصورة على الوصف الظاهري بل وظيفتها الوصول إلى عمق الأشياء واكتشافها من الداخل لمعرفة حقيقتها وما تنطوي عليه .

(٢) الشكل و المضمون :

و كذلك عرض العقاد و شكري و المازني لقضية المضمون داعين إلى التجديد الحقيقي ، وهو في رأيهم يتمثل في طريقة التعبير الجيدة التي تكشف عن أبعاد التجربة و تجليها للقارىء في وضوح .

و يرى العقاد أن جودة المضمون تكمن في صحة المعنى ، و موافقته لطبيعة الأشياء ، وما تنطوي عليه الفطرة الإنسانية .

كما يرى العقاد أن الغموض يُذهب بصحة المعنى ، ولأن الشعر تعبير عن الأحاسيس فمن الضروري أن " يصل إلى المتلقى" بلا اعوجاج أو مواربة" .

و يرجع شعراء الديوان جودة الشكل إلى الاستخدام السليم للغة ممثلة في اللفظ و الأسلوب و القواعد اللغوية ، و يرون أنه" ليس عليه أن يستخدم الأساليب القديمة التي وجدت في وقتها لظروف فنية أو اجتماعية ، وله أن يطور هذا الاستعمال بما يتناسب مع ظروف عصره"[١].

١- د/ إبراهيم الحادي ، حركة النقد الحديث و المعاصر ، مؤسسة الرسالة ١٩٨٤، ص٦٦.

و يتعلق بجودة الشكل حسن اختيار الألفاظ ، و مناسبتها للمعنى " وأن يحسن الشعراء اختيار المناسب لدلالاتهم الشعورية ، فقد تتشابه هذه الألفاظ في ظاهر المعنى و لكنها تختلف في المدلول فتنفرد كل لفظة بدلالة خاصة بها "[1] .

كما يرى العقاد أن الألفاظ " رموز يقترن كل منها بخواطر و ملابسات تتيقظ في الذهن متى طرقه ذلك اللفظ ، ولا يشترك فيه معه لفظ آخر وإذ ترادفا في ظاهر المعنى فالمترادفان لا يتشابهان في المدلول تمامًا "[2] وفي الإطار نفسه يرفض عبد الرحمن شكري تقسيم الألفاظ إلى لفظ شريف و لفظ وضيع ، فليس مدار جودة المعنى على شرف اللفظ أو وضاعته ، و إنما المرجع مناسبته أو عدم مناسبته للمعنى ، **يقول** : "وجدت بعض الأدباء يقسم الكلمات إلى شريفة ووضيعة ، وكل كلمة قل استعمالها صارت شريفة ، وهذا يؤدي إلى ضيق الذوق و فوضى الآراء في الآداب "[3] .

و حقيقة الأمر أن قضية الشكل و المضمون أمر مهم في صياغة التجربة الشعرية ، فلا ينكر أحد أهمية أن يمس المبدع فيتجربته جوهر الأشياء فضلاً عن ظاهرها ، وأن يتحرى اختيار ألفاظه و ينتقي منها ما

١- نفسه ص ٦٨.
٢- العقاد ، خلاصة يومية ، دار نصر للطباعة ، القاهرة ١٩٦٨ص١٥.
٣- ديوان عبد الرحمن شكري ، المقدمة .

يناسب المعنى و يرقي بالتجربة ، و يصل بهدف العمل إلى المتلقي من أقرب طريق يجلب له المتعة و يرقى بذوقه ، وهذا كله يحتاج من المبدع التأني و الروية ، و إعمال الفكر ، وقد دعا عبد القاهر الجرجاني إلى ذلك من قبل **حين قال** :

" اعمد إلى ما تواصفوه بالحسن ، ثم جعلوه كذلك من أجل النظم و تأمله ، فإذا رأيتك قد ارتحت واهتززت واستحسنت فانظر إلى حركات الأريحية مم كانت ؟ و عند ما اظهرت ؟ فإنك ترى عيانًا أن الذي قلت لك كما قلت "[1]

(٣)تماسك القصيدة و ترابطها :

هو ما يُطلق عليه النقاد : " الوحدةالعضوية " ، وقد دعا شعراء الديوان (أو الاتجاه التجديدي الذهني) إلى ترابط القصيدة و تماسك أبياتها في نسيج واحد ، حتى لا تفصل بينًا عن الآخر ، " فالوحدة العضوية في نظر جماعة الديوان تبين عن الغرض العام للقصيدة وتكشف عن مغزاها و علاقتها بالحياة أو بالناس ، فكل جزئية في النص يفترض أن توضح جانبًا من ذلك المغزى ، وكل علاقة نفسية تتجلى من

١- دلائل الإعجاز ص ٦٣.

خلال الأبيات لها ارتباطها بالغرض العام ، وإلاَّ انفرط عقدالقصيدة وتشتت أهدافها و غاياتها " [1].

و يرى العقاد أن القصيدة كائن حيٌّ متماسك ، لا تقوم حياته إلاَّ بتضافر أعضائه و اتساقها في وحدة واحدة تبرز هذا الكائن ، يقول :

" ينبغي أن تكون (أي القصيدة)عملاً فنيًا تامًا يكمل فيه تصوير خاطر أو خواطر متجانسة ، فالقصيدة كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته . ولا يغني عنه غيره في موضعه إلاَّ كما تغني الأذن عن العين أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة . أو هي كالبيت المقسَّم ، لكل حجرة منه مكانتها و فائدتها و هندستها " [2].

و يبين شكري صلة أبيات القصيدة وارتباط كل بيت بالآخر " لأن البيت جزء مكمل ولا يصح أن يكون البيت شاذا خارجًا عن مكانه من القصيدة بعيدًا عن موضوعها . وقد يكون الإحساس بطلاوة البيت وحسن معناه هينًا بتفهم الصلة التي بينه و بين موضوع القصيدة .

ومن أجل ذلك لا يصح أن نحكم على البيت بالنظرة الأولى العجلى الطائشة بل بالنظرة المتأملة الفنية ، فينبغي أن ننظر إلى القصيدة من حيث هي شيء فرد كامل لا من حيث هي أبيات مستقلة "[3]

١- د/ إبراهيم الحاوي ، حركة النقد الحديث و المعاصر ، ٦٩.
٢- الديوان ، العقاد و المازني ٢: ٤٥.
٣- ديوان عبد الرحمن شكري ، المقدمة .

(٤)موقفهم من الشعر الحر :

لم يجد التجديد في الشعر هوى في نفس شعراء الديوان ، فقد وقفوا منه موقف الرافض ، **وبرز ذلك في ما قاله العقاد** :" إذا صح أن إخواننا المجددين يعقبون علينا لأننا نقصِّر في توجيههم ، فمن حق النصيحة إذن أن نهمس في آذانهم ليتركوا هذا الشعر السايب " من ألفه إلى يائه لأنه شغلة لا تفلح أو لعبة لا تسلي . ولن يستمع لهم أحد فيما يتغنون به من حديث الشعر بلا وزن ولا قافية لأن حجتهم فيه هزيلة مملولة . وما عهدنا في التاريخ القديم أو الحديث أن الأمم تبني أركان ثقافتها عشرات القرون ثم تهدمها آخر الأمر بهذه السهولة ، وبغير حجة معقولة أو غير معقولة "[١] .

ثم يرمي أنصار التجديد بالجهل و العجز عن نظم الشعر في إطاره الصحيح ، **قائلاً** : " فلقد عجزوا عن نظم الشعر في إطاره القديم فخرجوا عن هذا الإطار زاعمين أنهم إنما يفعلون ذلك من أجل الغيرة الشعبية .

وأما الجهل فلأنهم نسوا أو تناسوا أن للشعب شعراء أميين لا يقرأون ولا يكتبون ، وأن هؤلاء الشعراء ينظمون شعرهم على بحور تتجاوز بكثير بحور الخليل " [٢].

١- يوميات ، العقاد جـ٢ص ٣٤٧.
٢- نفسه ص ٢٤٢.

لم يرق لأنصار الديوان تخلي شعراء قصيدة التفعيلة عن القافية وسمى العقاد و شعرهم بـ (**الشعر السايب**)، مع العلم أن الديوانيين دَعَوْا إلى الشعر المرسل ، وقدموا منه نماذج في دواوينهم ، تأمل النموذج التالي من قصيدة (**كلمات العواطف**) للشاعر عبد الرحمن شكري **يقوله** :

خليلـــي و الإخـــاء إلـــى جفـــاء ** إذا لم يغـــذه الشـــوق الصـــحيح
يقولون الصحاب ثمـــار صـــدق ** وقد نبلوا المـــرارة فـــي الثمـــار
شكوت إلى الزمان بني إخـــائي ** فجاء بـــك الزمـــان كمـــا أريـــد

واضح من النموذج اختلاف حرف الروي من بيت لآخر ، فهو في البيت الأول حرف الحاء ، وفي الثاني حرف الراء ، وفي الثالث حرف الدال .

ومع ذلك حمل العقاد على شعراء قصيدة التفعيلة حملة ضارية ووسمهم بالجهل ، وبعدم القدرة على النظم ، وفق نظام الشعر الموزون المقفى ، فماذا لو أن العقاد عاش حتى أدرك هذا النمط المعاصر من الشعر أقصد (**قصيدة النثر**) ، التي تخلى شعراؤها عن الوزن و القافية فما الذي كان سيقوله ؟؟.

وبالرغم من ذلك فقد كان لآراء الديوانيين أثرها البالغ ، إذ حركت بحيرة النقد الأدبي بعدما ركد ماؤها حتى أسن و صار مموجًا كما كانت هذه الآراء دافعًا لظهور آراء نقدية أخرى .